الموسيقى

وما يطلب منها

الموسيقى لغة العواطف يفهمها الناس على اختلاف أجناسهم فهى المعبرة عما يختلج فى قلوبهم من الاهواء وما يجيش فيهم من المشاعر والمبدية لأميال النفس ونزعات الروح وهى أكبر مهذب للاخلاق ترفعها عن المستوى الحسى وتسمو بها عن كل ما من شأنه ان يعلق بالمادة أو يكون له مساس بها

الموسيقى عند العرب

كانت الموسيقى العربية فى ابان عهدها ناقصة مبتورة فرغماً عما قيل فيها من أنها بلغت أيام ابرهيم من المهدى والموصلى ومن لف لفهما درجة رفيعة فقد كانت تعبر عن ناحية واحدة من نواحى الحياة وهى ناحية الحب وما يحتوى عليه من أنات وزفرات وآلام وشجون

وأما عدا ذلك من خوالج القلب وشعور العواطف وامانى النفس وآلامها ونزوات الفؤاد وكل ما يستثير الانسان من رغبات فلم تصل اليه ولم تتسلل الى أعماق الروح فتبدى مكنوناتها وتعبر عن خوالجها

لان العرب حتى فى عصرهم العباسى الذهبى لم يكونوا يشعرون بغير حاسة واحدة. وهى حاسة الحب الجسدى الجنسى فوجهوا مجرى موسيقاهم شطر الحب والصبابة والتغزل. ولم يتعدوا هذه الناحية لاقتصارهم عليها وعدم احساسهم بغيرها. فقد كانوا خليط أمم ومجموعة شعوب لم تصهر فى اتون وطنية تجمع بينهم بروابط الشعور القومي. ولم يكن تضافرهم وتآزرهم الا نتيجة عصبية دينية فكانوا يتحدون ويتكاتفون اذا ما أدلهم خطب يهدد الكيان الدينى حتى اذا زال الخطر تفرقوا شيعا تتنافر وتتناحر ومن البديهى أن الوطنية الحقة اى الروح القومية التى يتوارثها الخلف عن السلف. كانت معدومة فى العرب وهى التى تعبر عن كل امانى النفس ورغائبها ودوافعها فعدمت بذلك الموسيقى المعبرة عن هذه المشاعر.

ولا نجارى المؤرخين المغرضين الذين تحدو بهم عواطفهم - لا صحة الواقع - الى الرفع من شأن الموسيقى عند العرب وابلاغها ذروة العلياء حتى حملتهم مغالاتهم على القول بان العرب ربطوا موسيقاهم بعلامات أشبه بالنوتة عند الافرنج لكن الزمن لم يبق عليها

ولكننا نؤكد أن العرب الذين اعتادوا أن يكون كل شيء عندهم سماعياً حتى لغتهم لا يمكنهم أن يشذوا عن مالوفهم فيقيدوا موسيقاهم وهى ثانوية عندهم ويربطوها بروابط . لا سيما وأنها لبثت فى أزهى أطوارها طفلة تحبو حتى ماتت باضمحلال ملكهم أوكادت تموت .

واما ماينسبونه اليهم اعتباطا من ايجادهم الحانا لا يقدر أن يسمعها شبعان وأخرى لا يتسنى لجائع ان تطرق اذنيه وغيرها تنيم الانسان مهما أشتد أرقه وساورته الاحزان والهواجس فحديث خرافة .فالفارابى اخترع القانون ولم تكن له مقدرة موسيقية فنية بل كان كاشباهه من موسيقي ذلك العصر الذين لا يحسنون غير التعبير عن خالجة واحدة من خوالج النفس وهى الحب

الموسيقى عندنا

لبثت الموسيقى بعد ما دالت دولة العرب فى كل البلدان التى بسطوا سلطانهم عليها فى حالة النزع الاخير حتى منتصف القرن التاسع عشر وكانت فى مصر أقرب الى الموت منها فى سوريا . فاقبل من حلب رجل يحمل فى جعبته بضعة تواشيح هى البقية الباقية من تراث الموسيقى العربية فلقنها الى محبى هذا الفن فى هذه الديار وظلوا يلوكونها دون أن يزيدوا فيها حتى ظهر عبده الحمولى فأخذها عنهم وطفق يرددها ثم أضاف اليها بعضا من عنده . ولما يمم الاستانة تملكت الموسيقى التركية مشاعره فاقتبس منها الشيء الكثير وعاد به الى هذه الديار لكنه ترسم آثار السلف فلم يخرج على حد العاطفة الحبية .وحصر همه طيلة حياته فى ترديد الغناء المعبر عن الصبابة والتدله .

ولبثت الموسيقى تتدرج بين أيدى خلفائه دون أن تتصل بمشاعر النفس الاخرى حتى يومنا هذا .

ولا يسعنا انكار رقيها الحالى وما بلغت اليه من المكانة الرفيعة ، لكن تقدمها

هذا ليس الا تنوع بسيط فى النهج المعبر عن نجوى الفؤاد وشجونه دون أن يكون لها أدنى اتصال بخوالج الحياة الاخرى

هل موسيقانا الحالية جديرة بتربية شعورنا القومى؟

الموسيقى كما بينا أكبر مهذب للاخلاق فاذا ما اقتصرت على التعبير عن الحب وشؤونه نزلت بالاخلاق عوضا عن أن ترفعها فاية فتاة أو فتى يسمع الأغانى الدارجة مثل حذر فزر. والعضة لسه مالمانى وغيرهما ولا تتاثر مشاعره وتسفل أخلاقه ؟

ولو صدفنا عن هذه الأغانى التى تنشدها السيدات فى خدورهن والفتيات فى مجالسهن وتتصايحها الصبيان فى الازقة والشوارع لانها ليست كل موسيقانا . فماذا نجد فى هذه وهى لا تبدى غير متاعب الهوى من زفرات العاشق واهات المتيم ولكن بشكل أرقى وبتعبير اعف ؟

الموسيقى كالادب تتدرج وفقا لرقى الأمة فاذا علا الشعب ارتفعت معه واذا انحط تبعته . وكل أمة مغلوبة على أمرها تكون مهيضة الجناح تشعر بالمهانة والمذلة فتتأوه من نفس مصدورة وقلب كليم واذا ماغنت خرج غناؤها بكاء ونحيباً لان الاحن والرزايا التى نزلت بها أماتت فيها كل المشاعر ولم تترك فيها غير عيون للبكاء وقلوب للأنين فاصبحت موسيقاها لا تعبر الا عن تفجع وتوجع

ولا أدل على ذلك من الاسرائيليين الذين غدت أناشيدهم بعد زوال ملكهم وتفرق شعبهم عويلا وزفيرا وتأففا من الزمن وتقلبه

وما موسيقانا الا من هذا القبيل فقد لبثنا مئات السنين خاضعين للنير الاجنبى حتى ماتت فيناخيلاؤنا وزهونا وتلاشت مفاخرنا وكل ما من شانه أن ينهض بعزة نفوسنا وضربت علينا الذلة والمسكنة من جراء فقدنا لاستقلالنا فاصبحت موسيقانا بطبيعة الامر معبرة عن الشعور الوحيد الذى تبقى لنا وهو المهانة التى نزلت بنا والضيم الذى لحقنا فكان غناؤنا ألماً ونشيدنا تفجعا وتحول مع توالى الزمن الى الصبابة فى الحب والتتيم فى الغرام ولكننا لم نزل محتفظين بآهاتنا التى هى زفرة القلب الدامى وأنة الفؤاد الحزين

فاذا ما ظللنا سالكين هذا المسلك القديم دون أن نرغب عنه الى غيره فلا يرجى

لموسيقانا رقى ولا تقدم مهما حاولنا التمويه على تفوسنا لان عملنا ليس الا تحوير وتبديل فى العرض دون الجوهر

فالموسيقى يجب ان تكون شاملة كل أمانى حياتنا ومناها . محيطة بكل أطوارها . معبرة عن كل خالجه من خوالج نفسنا . فاذا تسنى لنا ذلك ايقنا بان يكون لنا موسيقى حقيقية . اما سوى ذلك فلا قيمة فنية له . ولا نراه صالحاً الا للاشجاء والطرب والنزول الى مستوى العامة التى لا تبغى من سماع الموسيقى غير اتباع عاطفة الحب والغرام . لا النهوض بها الى ذروة الرقى والعليا . كما يتمنى لها العارفون لقيمتها . والمقدرون لتأثيرها

كين

عندى إيه يادكتور
حمى نفاس
الله . . . دانا راجل مش ست
أنا عارف — قص الشعر لخبط الدنيا